الجزء الثلاثون

سور

النبأ	النازعات	عبس	التكوير
الانفطار	المطففين	الانشقاق	البروج
الطارق	الأعلى	الغاشية	الفجر
البلد	الشمس	الليل	الضحى
الشرح	التين	العلق	القدر
البينة	الزلزلة	العاديات	القارعة
التكاثر	العصر	الهمزة	الفيل
قريش	الماعون	الكوثر	الكافرون

النصر المسد الإخلاص الفلق الناس

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً (١٦) ﴾ .

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ عن ماذا يتساءل الناس؟ ﴿ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴾ عن يوم القيامة، يوم البعث والحساب، أم عن القرآن الكريم ورسالة محمد، وفيها البعث والحساب، ومن يتساءل عن أحدهما يتساءل عن ثانيهما ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ كلا إن إنكار وتكذيب المكذبين ليس له نصيب من الصحة، فسوف يعلمون، ويتكرر النفي الإلهي لشكوكهم وتكذيبهم، ويتكرر التأكيد الإلهي لأنهم سوف يعلمون ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ﴾ ألم تروا أنا مهدنا الأرض لمعيشتكم ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً ﴾ فكل جبل مدقوق في الأرض ليحفظ توازنها ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً ﴾ وخلقناكم أيها الناس أزواجًا ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾ راحة للأجسام والعقول ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً ﴾ ساترًا لكم بظلمته كاللباس ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً ﴾ للسعي في الدنيا وراء أرزاقكم فيها وفي الآخرة، وللعيش بكل ما فيه من أوجه نشاط ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً ﴾ سبع سموات قويات محكمات ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً ﴾ الشمس ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ من السحاب ﴿ مَاءً ثَجَّاجاً ﴾ ماءً متدفقًا

مصبوبًا ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ من مختلف أنواع الزرع ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ وبساتين ملتفةالأغصان. ففى ذلك دلائل على طلاقة قدرة الخالق الواحد الأحد، وحكمته، ورحمته، وبدون بعث وحساب، كان كل ذلك عبثًا.

* * *

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)﴾.

ثم تتحدث الآيات عن الحياة الآخرة ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ إن يوم الحساب وقّته الله ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يوم ينفخ الملك فى البوق ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ بعد أن تُبعثوا من قبوركم ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ تشققت السماء وانفطرت ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ فأصبحت كالصوف المنفوش بعد ثباتها ورسوخها وكبر حجمها وثقل وزنها ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ وكأن جهنم ترقب وترصد قدوم الكفار ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ الذين طغوا فى ظلمهم أنفسهم وظلمهم الآخرين ﴿مَآبًا﴾ مرجعًا ومصيرًا ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ ماكثين فيها دهورًا ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نسيمًا باردًا ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ يروى ويذهب الظمأ ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ ماءً بالغ الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾ صديدًا ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ هذا هو الجزاء الموافق لسوء أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ فضلوا أن يتمتعوا بالدنيا، ولذلك كذبوا بالحساب والآخرة، وبآياتنا لهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ وقد أحصينا كل أعمالهم ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

* * *

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)﴾

أما المتقون، فسينالون الفوز العظيم من الرحمن رب السموات والأرض وما بينهما، يتنعمون بالحياة الطيبة فى جنات ربهم، ولهم زوجات ﴿كَوَاعِبَ﴾ ناهدات شابات، ويشربون كئوسًا ملأى لا تفرغ، لا يسمعون لغوًا ولا كذبًا ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ فى ذلك اليوم، يوم الحساب، يقوم جبريل والملائكة صفّا، لا يتكلمون إلا بإذن الرحمن، ولا يقولون إلا صوابًا، ذلك اليوم هو الحياة الحقة، ففيه يتقرر مصير الإنسان، خلود فى الجنة أو خلود فى النار، فمن شاء منكم أيها الناس تاب وآب إلى ربه، هذا إنذار لكم بعذاب قريب، يُحاسب فيه كل امرئ بما قدمت يداه ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾

﴿غَرْقًا﴾ نزعًا شديدًا ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ نشط تعنى أخرج. لم نجد نصوصًا قرآنية تبين المقصود بالآيات الخمس الأولى، ولم نعثر على أحاديث صحيحة عنها، ولذلك تعددت تأويلات المفسرين فيها، فمنهم من قال إن المقصود طوائف من الملائكة، أو ملائكة ذات أعمال مختلفة، ومنهم من قال المقصود الكواكب، ومنهم من صرف تأويل الآيات إلى مختلف المخلوقات، ويمكننا أن نقول إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أقسم بمخلوقات له، سواء كانت ملائكة أو كواكب أو غيرها، أن الساعة آتية لا ريب فيها ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦)

﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ يوم ترجف الأرض ـ كما جاء فى سورة المزمل [١٤] ـ ﴿الرَّادِفَةُ﴾ تعنى التابعة. تعددت أيضًا تأويلات المفسرين فى ذلك، وتتحدث الآيتان عن نهاية الدنيا، والبعث والحساب ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب من الخوف، وهى قلوب المكذبين ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ ذلاً وانكسارًا ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ يقول العرب لكل من كان فى أمر، ثم خرج منه، ثم عاد إليه: رجع إلى حافرته، فيكون المعنى: أنحن عائدون إلى الحياة مرةً أخرى ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ أبعد أن نموت ونبلى؟ ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ إنها عودة خاسرة لأننا لم نعمل لها ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة، وهى نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ الساهرة هى الأرض البيضاء المستوية، والمقصود أرض المحشر والحساب.

***

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦)﴾

تروى الآيات قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون اللعين، نادى رب العالمين موسى فى الواد المقدس طوى: اذهب إلى فرعون الذى طغى، وادعوه لأن يزكى نفسه، فيتبع دعوة الهدى، يخشى ربه ويعبده وحده، وأراه موسى ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ قال أكثر المفسرين إنها اليد، أو العصا، أو اليد والعصا، فتكبر فرعون وعصى موسى، ثم أعرض عنه وجمع سحرته وقواته، وتباهى بملكه الزائف وجهله المطلق، فقال كافرًا ملعونًا هو ومن اتبعه إلى يوم الدين ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ فأغرقه الله هو ومن تبعه، ولهم فى الآخرة عذاب أشد وأبقى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾.

***

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾

اعتبروا يا أولى الألباب! خلق الله السماوات والأرض وسخرها لكم، انظروا بديع صنعه وطلاقة قدرته، وانظروا إلى رحمة ربكم وتكريمه لكم، فاتبعوا رسوله الذى جاءكم بالحق، وسبيل الفوز فى الدنيا والآخرة، وأطيعوا الله كما تطيعه جمادات السماوات والأرض، فأنتم أولى بالطاعة، ومن ثم أجدر بالكرامة فى الدنيا والآخرة ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلم ليلها ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أبرز نهارها ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ مدها وبسطها ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ أخرج من الأرض ماءها، وأخرج منها النبات الذى تأكله الماشية فى رعيها(١).

* * *

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ على المكذبين ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ هل آمن وعمل صالحًا، أم كذب وتولى؟ ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ وظهر الجحيم لمن كان ينكره، ولمن كان يخشاه ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ جزاء تكذيبه وعمله السئ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ اتفقت الأديان الإبراهيمية الثلاثة على أن رأس الحكمة مخافة الله، وكما قال رب العالمين: هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟! فمن خاف مقام ربه، ونهى نفسه ومنع هواه، فالجنة مأواه ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى إرساؤها؟ متى تقوم؟ ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ وضحت هذه الآية، وآية الأعراف ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [١٨٧]، كذلك وضحت غيرها من الآيات والأحاديث، أن الله وحده يعلم متى الساعة، ولسنا مكلفين بالبحث عن وقت قيامها، فكل آت قريب، وإنما نحن مكلفون بعبادة الله، بحمل أمانة

(١) من يريد الاستزادة عن إخراج الماء من الأرض، يمكنه مراجعة كتاب زغلول النجار *«تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم»* الجزء الرابع، صفحات ٣٠٥ ـ ٣١٠.

التكليف بالخلافة، بإقامة الحق، فلننشغل بما أمرنا به، ولا نضيع أفكارنا ومجهودنا ووقتنا فى البحث عما حجبه الله عنا ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾ فيوم تقوم الساعة، سيظن الناس أنهم ما لبثوا فى الدنيا إلا جزءًا من آخر النهار، أو من أوله.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾

كان النبى (ﷺ) منهمكًا فى محاولة إقناع كبراء قريش بدعوته لله، آملاً أنهم إن دخلوا الإسلام فسيدخل الباقون، وبينما هو يتحدث معهم جاءه عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى وراح يسأل النبى (ﷺ)، فضاق بمقاطعته فأنزل الله قرآنًا يعاتبه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ قَطَّبَ وجهه وتولى عن الأعمى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ وما يعلمك يا محمد، فقد يتطهر هذا الأعمى بما يتلقاه منك ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ أوينتفع بتذكره ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ بماله وجاهه فأنت تهتم بتبليغه وتتصدى له؟ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ ولا وزر عليك إن لم يتطهر ويقبل على الإسلام ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ﴾ من تلقاء نفسه مثل ابن أم مكتوم ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ فأنت تنشغل عنه؟ ولقد استمع النبى (ﷺ) إلى عتاب ربه له، ثم كان بعد ذلك يُكرم ابن أم مكتوم ويقول له: «مرحبًا بمن عاتبنى فيه ربى»، وتروى كتب السيرة أنه (ﷺ) استخلفه على المدينة يصلى بالناس عدة مرات.

❊ ❊ ❊

﴿ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) ﴾

﴿ كَلاَّ ﴾ نفى ونهى وزجر عن الأفكار والعقائد السائدة ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ آيات القرآن، وهذه الرسالة الخاتمة تذكرة للناس ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾ فالناس بالخيار، من شاء ذكر الله، واعتبر واتعظ فآمن وعمل الصالحات وأصبح من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴿ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ عالية المكانة ﴿ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ من الأفكار والعقائد الضالة ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾ ملائكة، قيل هم الكتبة، وقيل الحفاظ، والمضمون أنهم موكلون بهذه الصحف ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ كرام على الله تعالى، بررة فى أعمالهم.

***

﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) ﴾

﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ ﴾ أفظع الدعاء على ذلك الإنسان، بالقتل ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ ما أشد كفره، أو ما الذى جعله كافراً، أو المقصود المعنيان معًا ﴿ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ﴾ أولم يتفكر فى خلقه ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ من نطفة خلقه فقدره أطواراً ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ ثم سهل له الله سبيله فى الدنيا ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾ ثم مات، ثم دفنه الناس فى قبره بتعليم الله لهم ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ ثم يبعثه الله يوم يأمر بالنشور ﴿ كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ كلا أيها الظالم، لم تفعل ما أمرك الله به.

***

﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) ﴾

ثم تذكر آيات بينات طلاقة القدرة الإلهية، وبديع صنع الله، ورحمته بخلقه. أنزل الله المطر، وشق الأرض لتنبت فيها الحبوب، والعنب والرطب والزيتون والنخيل والحدائق العظيمة الكثيفة والفاكهة و ﴿ أَبًّا ﴾ قيل هو ما تأكله الأنعام، وقيل التبن خاصة، وقيل الكلأ وقيل غير ذلك. وهناك قصة مشهورة فى كتب التراث أن الفاروق (رضي الله عنه) توقف عند كلمة ﴿ أَبًّا ﴾ ما معناها الحرفى؟ ثم قال: إن هذا هو التكلف! أى البحث عن المعنى الحرفى ونسيان المضمون.

***

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴾

الصخ هو الضرب بالحديد على الحديد مما يصدر صوتًا شديدًا، والمراد بالصاخة يوم الحساب. فإذا جاء يوم الحساب، يفر الكفرة الفجرة من بعضهم البعض، فهم يومئذ أعداء بعضهم البعض ـ كما بينت الآية ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] ـ يومئذ تجد وجوهًا مشرقة مضيئة ضاحكة مستبشرة، ووجوهًا أخرى يعلوها غبار الذل وسواد الغم والحزن ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) ﴾

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قال الزمخشري: [في التكوير وجهان: أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها، أي يُلف ضوؤها لفّا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها، أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها] ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ أظلمت أو تساقطت واختل نظامها ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أزيلت من مواضعها ـ وصارت كالصوف المنفوش كما بينت سورة القارعة ـ ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ العشار جمع عُشراء: وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر، وهي أنفس الإبل عند أصحابها، فأهملت

وتركت من شدة الهول، وقال البيضاوى: [أو السحائب عُطلت عن المطر] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ هلكت، كما قال ابن عباس ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال الماتريدى: [فُجرت]، وقال الزمخشرى: [ملئت حتى تعود بحرًا واحدًا، وقيل ملئت نيرانًا] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ جُمعت مع مثيلاتها فى العمل فى الدنيا ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ لَم تذنب الوليدة، فكيف تذنب؟ والمقصود نفى الذنب عنها، والرجوع على وائدها أو قاتلها: بأى ذنب قتلت الوليدة البريئة؟ ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ صحف الأعمال ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ قلعت كما يقلع السقف ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ اشتد سعيرها، واقتربت الجنة من المتقين، عندئذ تنكشف الغشاوة وترى كل نفس عملها حاضرًا، فقد أحصاه الله.

***

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾

﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ سبق شرحها، ارجع لسورة القيامة ﴿بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ خنس تعنى انقبض واستخفى، والجوارى تعنى الجارية، والكُنَّس جمع كانس، وكنس تعنى عاد الوحش إلى بيته، فالمقصود الكواكب السابحة التى تختفى بالنهار وتطلع بالليل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ عسعس من الأضداد، فالمعنى والليل إذا أقبل وإذا أدبر ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وكأنه كان ميتًا ثم أحياه الله فبدأ يتنفس ثانيًا، وينشر ضوءه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وهو جبريل الكريم على ربه ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ يتمتع بمكانه متينة عند ربه ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ تطيعه الملائكة، أمين على وحى الله ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ ما محمد بمجنون كما تدعون ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ لقد رأى محمد جبريل بالأفق الأعلى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ما محمد بمقُصر فى تبليغ الوحى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ وما القرآن المنزل عليه بقول شيطان مطرود من رحمة الله ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فإلى أين تنصرفون عن الحق المبين؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ما هذا القرآن إلا ذكر للعالمين، يذكرهم بالله ولماذا خلقهم وماذا عليهم؟ لمن شاء أن يستقيم ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ

﴿الْعَالَمِينَ﴾ فهو خالق مشيئتكم وأدواتكم ـ وهو القائل ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، والقائل ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠] ـ وقال سيد قطب: [وذلك لكى لا يفهموا أن مشيئتهم منفصلة عن المشيئة الكبرى، التى يرجع إليها كل أمر. فإعطاؤهم حرية الاختيار، ويسر الاهتداء، إنما يرجع إلى تلك المشيئة. المحيطة بكل شىء كان أو يكون!

وهذه النصوص التى يعقب بها القرآن الكريم عند ذكر مشيئة الخلائق، يراد بها تصحيح التصور الإيمانى وشموله للحقيقة الكبيرة: حقيقة أن كل شىء فى هذا الوجود مرده إلى مشيئةالله. وأن ما يأذن به للناس من قدرة على الاختيار هو طرف من مشيئته ككل تقدير آخر وتدبير. شأنه شأن ما يأذن به للملائكة من الطاعة المطلقة لما يؤمرون، والقدرة الكاملة على أداء ما يؤمرون، فهو من مشيئته كإعطاء الناس القدرة على اختيار أحد الطريقين بعد التعلم والبيان.

ولابد من إقرار هذه الحقيقة فى تصور المؤمنين، ليدركوا ما هو الحق لذاته. وليلتجئوا إلى المشيئة الكبرى يطلبون عندها العون والتوفيق، ويرتبطون بها فى كل ما يأخذون وما يعدون فى الطريق!].

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

تتحدث السورة عما يحدث فى نهاية الدنيا وبداية الآخرة: إذا السماء انشقت، وإذا الكواكب انفرط عقدها وتفرقت، وإذا البحار امتلأت وصارت بحراً واحداً، وإذا القبور بُعثر ما فيها فخرج الناس للبعث والحشر والحساب، يومئذ تعرف كل نفس من صحيفتها ما قدمت لآخرتها من طاعة، وما أخرت بمعنى ما أجلت وتركت، أو ما عملت من حسنة ومن سيئة، وقال الطبرى: [ما أخر هو ما سنه من سنة حسنة أو سيئة، مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره].

* * *

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾

الاغترار المقصود هنا هو التقصير فى الطاعة، والاجتراء بالمعصية، والإسراف فى حسن الظن والتمنى على الله الكريم، كثير الأفضال، جميل الستر، العفو الغفار، أما كان الأجدر بك إحسان العبادة لمن أحسن إليك؟ وقال الرازى: [(ما) الذى خدعك وسوّل لك الباطل حتى تركت الواجبات وأتيت بالمحرمات، ما الذى أمنك من عقابه؟] وقد خلقك الله سويّا معتدلاً، سواء كنت أبيض أم أصفر أم أسود، طويلاً أو قصيراً، نحيفًا أو بدينًا.

* * *

﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩) ﴾

﴿ كَلاَّ ﴾ نفى ونهى وزجر عن الكفر والشرك والتكذيب بالدين ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ بدين الله، فترفضون شرعه، وتنكرون البعث والجزاء ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ ملائكة يحفظونكم ﴿ كِرَامًا ﴾ عند ربهم ﴿ كَاتِبِينَ ﴾ يسجلون كل أعمالكم ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ من خير أو شر ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ ﴾ الذين بروا وصدقوا فى إيمانهم فأكثروا من عمل الخير ﴿ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ الجنة ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ ﴾ الذين فجروا فى عصيانهم ﴿ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ جهنم ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ يقاسون نارها يوم الحساب ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ بل محضرين ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ إنه اليوم الحق، يحكم الحق بموازين الحق ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ويالهول

الحكم، فهو خلود فى الجنة أو خلود فى النار ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وكل نفس بما كسبت رهينة، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرّا يره ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ فاعملوا على طاعته، واطمعوا فى رحمته وعفوه وغفرانه، وفضله وكرمه.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ هلاك للمنقصين فى الكيل والميزان ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ أى اشتروا بالكيل ومثله الوزن ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ يأخذون حقهم من الناس وافيًا ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ثم إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصونهم حقهم ﴿أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ مبعوثون من القبور فى يوم عظيم ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقفون للمحاسبة أمام رب العالمين.

* * *

﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا

(*) وهى آخر سورة نزلت بمكة.

تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) ﴾

﴿ كَلَّا ﴾ ارتدعوا عن التطفيف فى البيع والشراء، وفى كلّ معاملاتكم مع الناس، وفى ظلم أنفسكم ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ ﴾ ما يكتب من أعمالهم ﴿ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ لمثبت فى ديوان الشر، وسُمى سجينًا «فعِّيلاً» من السجن وهو الحبس والتضييق فى جهنم ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ وما أدراك أيها السامع بسجين ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ كتابٌ مُعَلَّم بعلامة ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ ليتبعوا أهواءهم فى الدنيا، فيطففوا على أنفسهم وعلى الناس ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ فهو لا يكذب بيوم الدين إلا لأنه يرفض موازين الحق، ويرفض أن يقف للحساب مثل بقية البشر، بل يريد اتباع أهوائه، فيتعدى حدود الله، ويظلم نفسه والناس ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ قال عن آياتنا حكايات السابقين ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ غطى وغلب على قلوبهم ما يذنبون، قال الحسن البصرى: «الران هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب» وفى الحديث: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة، نكت فى قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقِلَ قلبه. وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهذا هو الران الذى ذكر الله ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾» رواه الترمذى ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ فهم محجوبون من رؤية الله، والمقصود التنعم بعفوه وغفرانه، وفضله وكرمه ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ عقابًا لهم تقول لهم الملائكة تبكيتًا لهم ﴿ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾.

* * *

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ نفى ونهى وزجر عن أفكار المكذبين وأعمالهم ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ إن كتاب الذين بروا وعملوا الصالحات فى مقام عال ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ وما أعلمك بذاك المقام ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ معلمٌ بعلامة ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ يعاينه، أو يشهد عليه المقربون ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ فى الجنة يتنعمون بالعيش والمقام المريح والمناظر الجميلة التى

تنعكس على وجوههم ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ يشربون شرابًا خالصًا آخره مسك ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ لمثل هذه النعم، ولرضوان الله فليعمل العاملون فى الدنيا، ويتنافسوا فى طاعة الله ﴿ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴾ سَنَمَهُ تعنى رفعه، وتسنيم على وزن تفعيل تفيد العلو والرفعة. قال المراغى: [سئل ابن عباس عنها فقال: هذا مما قال الله فيه ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: ١٧]] ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ قال الزمخشرى: [﴿ عَيْنًا ﴾ نصب على المدح (أى منصوبة؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ مدحها). وقيل هى للمقربين يشربونها صرفًا، وتُمزج لسائر أهل الجنة] يشرب بها المقربون إلى ربهم نتيجة لحسن أعمالهم.

***

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾

إن المطففين الذين يكذبون بيوم الدين كانوا يضحكون استهزاءً وسخريةً بالمؤمنين، ويتغامزون عليهم، وإذا عادوا إلى أهلهم عادوا فرحين سعداء مختالين بأفعالهم، ورموا المؤمنين بالضلال، وليس لهم الحق فى أن يهيمنوا أو يحكموا أو يتسلطوا على المؤمنين، فاليوم، اليوم الحق، يضحك المؤمنون من عاقبة الكافرين، ينظرون إليهم وهم فى مقامهم الطيب، ويسألون: هل حصل الكفار على جزاء ما كانوا يفعلون؟

***

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) ﴾

تذكر الآيات بعض مشاهد الآخرة. فإذا انشقت السماء، واستمعت واستجابت لما أمر به ربها من تبدل حالها، فبعد أن كانت كما جاء في الآية ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك: ٣، ٤] انشقت السماء وانتثرت الكواكب، وحق لها أن تستمع لربها وتطيع أمره، فتتغير عما كانت عليه في الحياة الدنيا، وإذا الأرض امتدت وانبسطت، وأخرجت ما في بطنها وتخلت عنه، وكما حَق للسماء أن تطيع ربها حق للأرض أن تتغير عما كانت عليه في الحياة الدنيا ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ الكدح يعني السعي والعمل بجهد، فالمقصود إنك يا أيها الإنسان تعمل في الدنيا حتى تلاقي ربك، وقيل إنك تعمل عملاً في سبيل ربك، فملاق جزاء ذلك العمل في الآخرة ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ فأما من تناول صحيفه أعماله بيده اليمنى، فهذه علامة على أن الحساب سيكون يسيراً ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ بالنجاة من العذاب والفوز بالجنة ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ علامة على سوء العاقبة ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴾ فسوف يدعو على نفسه بالهلاك بدلاً من العذاب الذي سيلاقيه، وقيل يقول: واثبوراه ﴿ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ ويصطلي بنار جهنم ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ ليس السرور بذنب أو حتى مكروه، ولكن السرور المقصود هنا هو سرور الغرور والخيلاء وبطر النعمة، والركون للدنيا

على حساب الآخرة ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ ظن أن لن يرجع لربه، والظن هنا هو رغبة وتمن ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾.

❊ ❊ ❊

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ارجع للشرح فى سورة القيامة ﴿بِالشَّفَقِ﴾ الحمرة فى الأفق بعد الغروب ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ والليل وما جمع وضم ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ والقمر إذا تَمَ نوره وصار بدراً ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ لتلاقون أيها الناس حالاً بعد حال ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ فما الذى يمنع الكفار والمشركين من أن يؤمنوا، ويسجدوا عندما يتلى عليهم القرآن؟ قيل السجود هنا هو الطاعة والتسليم، وقال الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما: [قرأ رسول الله (ﷺ) ذات يوم ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فسجد ومن معه من المؤمنين، وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بآيات الله تكبراً وجحوداً ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ فى صدورهم ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جزاء كفرهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ

شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾

يقسم الله ـ تعالى ـ بالسماء ذات البروج، وباليوم الموعود، وشاهد ومشهود، والبروج هى منازل الكواكب والشمس والقمر ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ وهو يوم القيامة والحساب ﴿ وَشَاهِدٍ ﴾ على عمل الناس ﴿ وَمَشْهُودٍ ﴾ عمل الناس ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ تعنى ﴿ قُتِلَ ﴾ كما ذكرنا سابقًا: أفظع الدعاء بالقتل، وذلك جواب القسم: قتل الله أصحاب الأخدود. تعددت روايات المفسرين عنهم، ويكفينا ما جاء فى السورة، وظاهره أنهم عذبوا المؤمنين بالنار فى الأخدود، وما كان ذلك إلا كراهية من أصحاب الأخدود لإيمانهم بالله العزيز الحميد، مالك السماوات والأرض، الشهيد على كل شىء ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ فحكم الله عليهم ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾.

***

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾.

تكرر وتؤكد الآية الثنائية التى لا تنفك ﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ والثنائية الثانية الملازمة لها ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾أما الذين كذّبوا فتحذرهم الآية ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ فاتقوه يا أولى الألباب، وارجعوا لربكم واعملوا ما كلفكم وشرفكم به من خلافة، تقيم الحق على الأرض ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ خلق الخلق، ثم يميتهم، ثم يعيدهم يوم البعث والحساب ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ فهلموا إليه، عرَّضوا أنفسكم لغفرانه واطلبوا وده ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ فهلموا لصاحب العرش المجيد، وأعرضوا عن أصحاب العروش الزائفة الزائلة، وهو غفور ودود، وهم ليسوا كذلك، وهو ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ وهم ليسوا كذلك.

***

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾

هل عرفت يا محمد ومن يستمع القرآن حديث الذين جندوا أنفسهم فى معصية الله: فرعون وثمود، أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ورسله، ومثلهم من يكذب رسالتك ويكذب القرآن الذى أنزله عليك ربك، وهو قرآن مجيد فى لوح محفوظ عند ربك.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ يقسم رب العالمين بالسماء والنجم الذى يطرق ليلاً ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ وما أعلمك يا محمد ﴿ مَا الطَّارِقُ ﴾ إنه ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ الذى يثقب بضوئه ظلمة الليل، وقال زغلول النجار: [الواضح من الآيات أن القسم جاء هنا بنجم خاص بذاته سماه ربنا (تبارك وتعالى) بـ «الطارق»، ووصفه بالنجم الثاقب، فما هو هذا النجم المحدد الذى استوجب هذا القسم القرآنى التفخيمى، وجاء مقرونًا بالسماء على عظم شأنها؟ معنى ﴿ الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ لا ينجلى إلا بمعرفة دقيقة لطبيعة النجوم وأنواعها ومراحل تكونها؛ لأن هذه قضية علمية صرفة، وكطبيعة كل الإشارات الكونية فى القرآن الكريم، لابد من توظيف المعارف العلمية لفهم دلالاتها؛ حيث لا يمكن لتلك الدلالات أن تتضح فى

الإطار اللغوى وحده[1] ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ جعل

(١) ماهية النجوم

النجوم هى مصابيح السماء الدنيا، وهذه المصابيح السماوية عبارة عن أجرام غازية فى غالبيتها، ضخمة الحجم، ولكنها تبدو لنا ضئيلة لتعاظم أبعادها عنا، فأقرب النجوم إلينا وهى الشمس تبعد عنا بنحو مائة وخمسين مليون كيلو متر (١٤٩,٦ مليون كيلو متر).

والنجوم «أجرام سماوية شديدة الحرارة»، ملتهبة، مشتعلة، مضيئة بذاتها، يغلب على تركيبها غاز الإيدروچين، ويليه فى الكثرة غاز الهيليوم، والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزنًا، وتُحتوى مادة النجم الغازية (فى أغلبها) بعملية التجاذب الداخلى إلى مركز النجم الناتجة عن دورانه حول محوره، وتؤدى هذه العملية إلى اتحاد نوى ذرات الإيدروچين مع بعضها البعض بالاندماج أو «الانصهار النووى ـ Nuclear Fusion»، وينطلق عن ذلك كميات هائلة من الطاقة على هيئة عدد من الإشعاعات الكهرومغناطيسية التى من أهمها الضوء والحرارة.

ما هو الطارق النجم الثاقب؟

ينطبق الوصف القرآنى «بالطارق النجم الثاقب» على مصادر الإشعاع الراديوى المميز بالسماء الدنيا، ومن أهمها «النجوم النيوترونية شديدة التضاغط ـ The Ultra - Compact Neutronstars و«المعروفة باسم «النجوم النابضة ـ Pulsating Stars» أو «النابضات» أو «النوابض - Pulsars » وهى نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير؛ ولذا فإنها تدور حول محورها بسرعات فائقة مطلقة كميات هائلة من الموجات الراديوية؛ ولذا تعرف باسم «النوابض الراديوية Radio - Pulsars»؛ لأنها ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية فى كل جزء من الثانية، أو فى كل عدد قليل من الثوانى حسب حجمها، وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد نبضات تلك النجوم إلى ثلاثين نبضة فى الثانية الواحدة، ويعتقد أن النابض الراديوى يطلق نبضة واحدة من الموجات الراديوية فى كل دورة كاملة حول محوره، وتسجل المقربات (التليسكوبات) الراديوية تلك النبضات بدقة فائقة. ومن رحمة الله بنا أن أقرب النوابض الراديوية إلينا يبعد عنا بمسافة خمسة آلاف من السنين الضوئية، وإلا لكان لنبضاتها المتسارعة أثر مدمر للحياة على الأرض.

ومن مصادر الإشعاع الراديوى المتميز أيضًا «أشباه النجوم ـ Quasars» وهى أجرام سماوية شديدة البعد عنا، ضعيفة الإضاءة (ربما لبعدها البالغ عنا)، ومنها ما يطلق أقوى الموجات الراديوية المعروفة فى السماء الدنيا؛ ولذا تعرف باسم «أشباه النجوم المصدرة للموجات الراديوية - Radio Sources Quasars» تمييزًا لها عن غيرها من «أشباه النجوم التى لا تصدر موجات راديوية ـ Radio Quiet Quasi Stellarobjects».

وعلى الرغم من بُعدها الشاسع عنا، فإن أشباه النجوم تتباعد عنا بسرعات فائقة، وتعتبر أبعد ما قد تم رصده من أجرام السماء بالنسبة لنا، وتبدو وكأنها على أطراف السماء الدنيا تطرق أبوابها لتوصل إشاراتها الراديوية إلينا. وأشباه النجوم فى حالة من حالات المادة الخاصة غير المعروفة لنا، وتقدر كتلة شبيه النجم بنحو مائة مليون ضعف كتلة الشمس، وهو قليل الكثافة جدًا، إذ تقدر كثافته بحدود واحد من ألف مليون مليون من الجرام للسنتيمتر المكعب (١٥١٠ / ١جم/ سم٣)، وتقدر الطاقة الناتجة عنه بمائة مليون مليون مرة قدر طاقة الشمس، وقد تم الكشف عن حوالى ألف وخمسمائة من أشباه النجوم على أطراف الجزء المدرك من الكون، ويتوقع الفلكيون وجود آلاف أخرى منها لم تكتشف بعد.

وكلتا المرحلتين من مراحل حياة النجوم: «النوابض الراديوية –Radio Pulsars» و«أشباه النجوم الراديوية Quasars Radio» تعتبر من أهم «المصادر الراديوية ـ Radio Sources» فى السماء الدنيا، وكلتاهما من مراحل احتضار النجوم وانكدارها التى تسبق الطمس والخنوس، كما فى حالة النوابض، أو من مراحل التحول إلى دخان السماء اللاحقة على مرحلة الخنوس، كما فى حالة أشباه النجوم. =

الله على كل نفس حافظًا، حتى يحين أجلها، فليتفكر الإنسان م خلق ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ من ماء الرجل والمرأة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ﴿الصُّلْبِ﴾ الظهر، و﴿التَّرَائِبِ﴾ الصدر، والمعنى يخرج ماء كلّ من الرجل والمرأة من ظهره، أو ظهرها، ومن صدره أو صدرها[1] ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ إن الله قادر على إرجاع الإنسان وإعادته حيًا بعدالموت ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم تنكشف خفايا القلوب، وليس للإنسان يومئذ من قوة ولا ناصر يحميه، إلا عمله، إما يرفعه أو يحطه.

***

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

يقسم الله بالسماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع. قال أكثر المفسرين: إن المقصود بالرجع المطر، والمقصود بالصدع الشق الذى يخرج منه النبات، وقال زغلول النجار: [من صور رجع السماء: الرجع الاهتزازى للهواء ـ الرجع المائى ـ الرجع الحرارى ـ رجع الغازات والأبخرة والغبار ـ رجع الأشعة فوق البنفسجية ـ رجع الإشارات الراديوية ـ رجع الأشعة الكونية] وقال عن ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [انصداع التربة عن النبات ـ تصدع صخور اليابسة ـ تصدع الأرض ككوكب] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ إن هذا القول، وهذا القرآن وما فيه لقول فصل بين الحق والباطل، وما هو بالهزل. إن الكافرين يمكرون مكرًا، ويدبر الله أمرًا آخر ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ اصبر وانتظر على الكافرين قليلاً، يا محمد ومن بلغه القرآن.

***

=ولعل هذه المراحل الراديوية المتميزة فى ختام حياة النجوم هى المقصودة بالوصف القرآنى الطارق، النجم الثاقب؛ لأنها تطرق صفحة السماء وتثقب صمتها بنبضاتها السريعة التردد (كأنها تطرق بابًا) وموجاتها الراديوية الخاطفة، والله (تعالى) أعلم ـ «*تفسير الآيات الكونية فى القرآن الكريم*» جـ ٤ صفحات ٤٠٠-٤٠٦.

(١) من أراد الاستزادة، يمكنه أن يرجع لـ «تفسير *الآيات الكونية فى القرآن الكريم*» ـ زغلول النجار، جـ ٤ صفحات ٤١١ – ٤١٥ من إصدارات مكتبة الشروق الدولية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ (٦) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١١) الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (١٣) ﴾

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ أمر إلهى للرسول (ﷺ) ولأمته: نزه ربك من أىّ شريك ومن أىّ تشبيه، ومما يعتقد ويقول العرب وأهل الكتاب والفرس والمصريون والإغريق والرومان، وغيرهم، مما لا يليق بألوهيته ﴿ الَّذِى خَلَقَ ﴾ الخلق كله ﴿ فَسَوَّى ﴾ فسوى كل مخلوق لما خلق له ﴿ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ هدى كل مخلوق لسبيله ودوره فى الحياة، من الشمس والقمر والكواكب والرياح فى السماء، للماء فى البحار والأنهار والجبال والنبات فى الأرض، للزواحف والحيوانات وكل من دب عليها، للإنسان الذى كرمه بالخلافة على الأرض، فهداه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا ﴿ وَالَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴾ أخرج الكلأ الأخضر الذى ترعاه الأنعام ﴿ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴾ يابسًا هشيمًا كالغثاء يميل لونه للسواد ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ إعلام من الله لرسوله بألا يخشى النسيان ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ إلا ما شاء الله أن ينساه، وتعددت أقوال المفسرين فى ذلك، فقال الطبرى: [أولى بالصواب عندى: إلا أن نشاء نحن أن ننسيكه بنسخه ورفعه]، وبمثل ذلك قال الزمخشرى وأضاف أن الاستثناء [من استعمال القلة فى معنى النفى (أى الاستثناء الذى يثبت القاعدة كما نقول اليوم)] أما الماتريدى فله تأويل مختلف، أن ذلك يحتمل ثلاثة أوجه: [أحدها: أن الأنبياء (عليهم السلام) لم يكونوا آمنين على أنفسهم بالعصمة من الزلات ـ أو يكون الاستثناء راجعًا إلى إنساء حكمه، وهو أن ينسخ حكمه حتى يترك فيصير كالمنسى ـ أو يكون (عليه السلام) يذهب خاطره عن بعض ما يوحى إليه إذا اشتغل فكره فى أشياء أخر، فيصير الذى ذهب عن وهمه كأنه نسيه، وإن كان

يعود ذلك إليه عند إحضاره ذهنه، والله أعلم] ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ فهو عالم الغيب والشهادة، وخالق كلّ ما فيهما ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وسنسهل عليك وعلى أمتك الشريعة السمحة التى تختار الأيسر، وتقرر أن الأصل فى الأشياء الإباحة، إلا إذا ورد نص بالتحريم، وقال الماتريدى: [ونيسرك (نيسر لك) للخير ولعمل أهل الجنة، فسُميت أعمال الخير يُسرى؛ لأنها تعقب ذلك، والله أعلم] وبشبيه كل ذلك قال الزمخشرى، وقال المراغى: [ونوفقك للشريعة السمحة التى يسهل على النفوس قبولها، ولا يصعب على العقول فهمها، ورحم الله البوصيرى حيث يقول:

لم يمتحنا بما تعيا العقول به ... حرصًا علينا فلم نرتب ولم نهم

وقد جعلت الآية الإنسان هو الميسر للفعل، وليس الفعل هو الميسر للإنسان] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ وما عليك إلا أن تذكر الناس، فعسى أن تنفعهم الذكرى ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ سيتذكر من حافظ على فطرته ومداركه بشهادته الأولى، وظل مؤمنًا بأن للكون إلهًا خالقًا قادرًا، رباه ويربيه إلى يوم الدين، فهو لا يركن لثروته ولا لأولاده ولا لنفوذه، ولكن يخشى غضب الله، ويطمع فى فضله ورضاه، فتجىء الرسالة الخاتمة والقرآن لينير له طريق الهدى، فكأنها جاءت إليه نورًا على نور قلبه، يتذكر به الله، لماذا خلقه، وماذا عليه أن يعمل ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ ويتجنب التذكرة ﴿الْأَشْقَى﴾ المصر على العناد والكفر، فجزاؤه نار جهنم ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ يصطلى بنارها فيتمنى الموت ولكن لا يطوله، فهو لا يحيا إلا ليتلقى العذاب، فليس له حياة حقيقية ولا موت، إلا جزاء تكذيبه فى الدنيا.

***

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾

قد فاز ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من دنس الشرك والكفر والنفاق والمعاصى ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ ذكر الله، وعمل ما أمره به الله، والصلاة علامة على ذلك ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بل تفضلون العاجلة على الآخرة ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ كيفًا وكمًّا. هذا الذى نخبركم به، هو نفسه ما جاءت به كتب إبراهيم وموسى.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) ﴾

﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ يا محمد ومن يبلغه القرآن ﴿ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ التى تغشى الناس بأهوالها، تلك هى يوم الحساب، والناس فى هذا اليوم فريقان ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ ذليلة خاضعة ﴿ عَامِلَةٌ ﴾ تجر السلاسل والأغلال فى النار، وقيل عاملة المعاصى فى الدنيا ﴿ نَّاصِبَةٌ ﴾ تَعِبَة مما تعانيه ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ تُقاسى نارًا شديدة الحرارة ﴿ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴾ تشرب من عين بالغة السخونة ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ ليس لهم طعام إلا من نبت ردىء كريه، لا يفيد لا فى بناء جسم ولا فى سد جوع.

* * *

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) ﴾

أما الفريق الثانى فوجوههم ناعمة من أثر النعيم ﴿ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ بما قدمت فى الدنيا راضية مطمئنه فى ﴿ جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ عالية المقام، عالية المحتوى ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴾ فاللغو لا مكان له فى الجنة ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ بلا انقطاع ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ أسرة رفيعة القدر ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ بين أيديهم ليسهل تناولها ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ ووسائد للراحة بعضها بجوار بعض ﴿ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ وبُسطٌ فاخرة ملونة فى كل مكان.

* * *

﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦) ﴾

يدعو القرآن دائمًا إلى إعمال العقل فى كل ما تراه العين لاستكشاف الكون والاستفادة منه ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ كيف خلقت خلقًا متقنًا بديعًا يدل على قدرة الله[1]، وإلى السماء كيف رفعها الله بلا عمد ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾ أُقيمت منتصبة فوق الأرض، ولها امتداد داخل الأرض كالوتد ليثبتها ﴿ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ كيف بسطها الله لعباده ليسهل عيشهم عليها ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾ فما عليك إلا تذكير الناس، ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ لست مهيمنًا عليهم لتجبرهم على الإيمان ﴿ إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ إلا بمعنى لكن، أى من تولى وكفر فلن يتذكر ﴿ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴾ عقابًا على توليه وكفره ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ إن مرجعهم إلينا ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي

(١) عينا الجمل ترتفعان فوق رأسه وترتدان إلى الخلف وتملكان طبقتين من الأهداب تقيانهما الرمال والقذى، وكذلك المنخران والأذنان يمتلئان بالشعر، فإذا ما هبت العواصف الرملية انقفل المنخران وانثنت=

الْبِلاد (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ(١٤) ﴾

﴿ وَالْفَجْرِ ﴾ أقسم الله بالفجر ﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ليال مفضلة فى العبادة، كالعشر الأوَل من ذى الحجة وكالعشر الأواخر من رمضان التى يترقب فيها المسلمون ليلة القدر ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ أى كل شفع مثل يوم النحر، وكل وتر مثل يوم عرفة ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ والليل إذا يمضى، وقيل إذا سار، وقد تعنى إذا جاء وغطى على نور النهار ﴿ هَلْ فِى ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴾ الحجر هو العقل لأنه يحجر، أى يمنع الإنسان من الأقوال والأعمال السيئة، وهذا القسم لكل صاحب عقل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ ألم تعرف يا محمد ومن يبلغه القرآن ماذا فعل ربك بعاد ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ قيل إن ﴿ إِرَمَ ﴾ أرضهم، وقيل اسم جدهم، وقيل بل تعنى القديمة ﴿ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴾ قيل ذات الأبنية القائمة على عمد مرتفعة، وقيل كان أهلها طوال القامة، وقيل الشدة والقوة، والله أعلم ﴿ الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلادِ ﴾ لا مثيل لقوتها وشدة بطشها ﴿ وَثَمُودَ ﴾ قوم صالح (ﷺ) ﴿ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ قطعوا الصخور فى الواد وبنوا مساكنهم فى الجبال التى قطعوا صخورها ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتَادِ ﴾ قال الطبرى ومخلوف وغيرهما: ذى الجنود والجيوش، ويحتمل أن يكون المقصود بها الأهرامات، كما قال المراغى وغيره، فهى كانت قائمة قبل دخول بنى إسرائيل مصر، وقبل حوادث موسى (ﷺ) مع فرعون اللعين ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ بظلمهم الناس وظلمهم أنفسهم، بكفرهم أو إشراكهم بالله ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ عذابًا شديدًا مؤلمًا ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ لا يفوته قول وعمل إلا حاسب عليه.

* * *

﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) ﴾

= الأذن نحو الجسم، وقوائم الجمل طوال تساعده على سرعة الحركة، أما الأقدام فمنبسطة مفلطحة خفاف ليتمكن من السير فى الرمال، وتحت صدره وسائد، وكذلك عند مفاصله ليرقد على الأرض الخشنة، وفى ذيله شعر يحمى الأجزاء الخلفية من الأذى، يتحمل العطش الكامل فى قيظ الصيف أسبوعين، فإذا ما وجد الماء تجرع كمية كبيرة فى دقائق وهو يحتفظ به فى أنسجة جسمه وليس فى كرشه، ويقتصد فى استهلاكه.. وفى كل يوم يكتشف العلماء الآيات المعجزة فى الجمل. المنتخب ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

تصحح الآيات القصيرة مفاهيم غليظة ثقيلة التأثير استقرت فى نفوس كثير من البشر إن لم يكن أكثرهم، فهم يعتقدون أن بسط الرزق علامة على تكريم الله لهم ورضاه عنهم، وتضييق الرزق علامة على إهانة الله لهم وغضبه عليهم، فتقول الآية ﴿كَلاَّ﴾ ليس ذلك صحيحًا، إنما النعمة ابتلاء، والرزق القليل ابتلاء، ثم تصف الآيات أعمالهم التى قامت على سوء معتقدهم: لا تكرمون اليتيم، فليس وراءه إلا الإنفاق والتكاليف والمجهود، ولا تحضون أنفسكم على إطعام المساكين، فأنتم تريدون تراكم أموالكم، وتأكلون ميراث الضعفاء والغائبين ومن تقدرون عليهم، وكل ذلك لأنكم تحبون المال حبًا جمًا، ولا تعرفون ـ كما تبين لكم آيات أخرى ـ أن ذلك المال هو مال الله وأنتم مستخلفون فيه، وأن للفقراء والمساكين والمحتاجين حقًا فيه، وأنكم معرضون للفقر والغنى، فأنفقوا كما تحبون أن يُنفق عليكم إذا احتجتم.

* * *

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾

﴿كَلاَّ﴾ نفى ونهى وزجر عن مفاهيمكم الباطلة، وأعمالكم الظالمة، لأنه سيجىء يوم تُدك فيه الأرض دكًا دكًا ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ الله لا يجىء إلى مكان ولا فى زمان، فهو ـ سبحانه ـ خالق المكان والزمان، ولا يمكن أن يحتويه أيهما، والمقصود جاء يوم الحساب، وقال الماتريدى: [أى (جاء) أمر الله، ويحتمل جاء وعده ووعيده، ووجه آخر: أن يكون معنى قوله: جاء الوقت الذى به صار إنشاء هذا العالم حكمة، إذ لولا البعث للجزاء، لكان إنشاء هذا العالم ثم الإهلاك خارجًا مخرج العبث. . . . والله تعالى لا يوصف بالجسمية حتى يُفهم من مجيئه ما يُفهم من مجىء الأجسام، ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يجىء من مجىء الأعراض، فحقه الوقف فى تفسيره مع اعتقاد ما ثبت بالتنزيل من غير تشبيه، والله أعلم] وجاء الملائكة صفوفًا ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ برزت جهنم ليراها الخلق ويعلم أصحابها مصيرهم، يومئذ يتذكر الإنسان تفريطه فى حق الله وحق نفسه وحقوق

الناس، وقد فات الأوان ولن تنفعه الذكرى ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾ يالتنى قدمت لحياتى الحقيقية فى الآخرة ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴾ فيومئذ يُعذب عذابًا لم يُعذبه أحد فى الدنيا ﴿ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ ويُوثق وثاقًا لم يُوثقه أحدٌ فى الدنيا. أما النفس التى اتقت ربها فتقول لها الملائكة ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد (ﷺ) نبيًا ورسولاً، فآمنت وعملت الصالحات، فيقال لها ﴿ ارْجِعِى إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً ﴾ بما عملت فى الدنيا، وبما تأملينه، وتُبَشَّرين به من ثواب ربك فى الآخرة ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ مرضية عند الله ومنه ﴿ فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى ﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) ﴾

﴿ لا أُقْسِمُ ﴾ ارجع لشرح أول سورة القيامة ﴿ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ مكة ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ وأنت مقيم فى مكة تدعو إلى الله، وقال الزمخشرى: [. . . مثلك على عظم حرمتك يُستحل بهذا البلد الحرام] ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ وكل والد وولده، وقيل المقصود آدم وأولاده وأحفاده، وقيل إبراهيم (ﷺ) أبو الأنبياء، ومحمد (ﷺ) خاتم النبيين، والأول أشمل ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى كَبَدٍ ﴾ فى تعب ومشقة ومكابدة ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ حين يزهو بقوته وماله، ويقول متباهيًا ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا ﴾ أنفقت مالاً طائلاً

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أيحسب أن إنفاقه خاف، لا يُحصى ويُسجل، ما كان فى الخير وما كان فى الشر، ويُسأل عنه ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ﴾ ليبصر بهما طريق الحق ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ليذكر الله ويتكلم بالحق ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ النجد الطريق فى ارتفاع، والمقصود بينا له طريق الخير وطريق الشر وعاقبة كلٍّ منهما؟

❊ ❊ ❊

﴿فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾

العقبة فى اللغة هى الطريق الوعرة فى الجبل. قال الزمخشرى: [جعل الأعمال الصالحة عقبة وعملها اقتحامًا لها، لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ وما أعلمك يا محمد ومن يبلغه القرآن ما العقبة؟ إنها ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ تحرير عبد ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أى فى مجاعة بسبب قحط أوغلاء أو كارثة ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يتيمًا ذا قربى ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أو مسكينًا ذا فقر ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ فحتى يصبح من أصحاب الميمنة الفائزون فى الآخرة، يجب أن يصدر عمله الصالح من الإيمان، ويصبر ويرحم خلق الله، ويوصى الناس بذلك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ فى الكتب السماوية والأنبياء، وفى أنفسهم، وفى الكون كله، فأولئك ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أصحاب الشمال وأصحاب جهنم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة عليهم.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) ﴾

يقسم الله ـ تعالى ـ بـ ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ والشمس والضحى الذى يسببه ضوؤها وحرها، أى طاقتها الحرارية، أو وقت الضحى، والقمر إذا تلاها فى الليل ليضىء ما قدر الله له ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ أظهر النهار الشمس واضحة جلية ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ والليل عندما يُغطيها ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ بمنتهى الإحكام والإتقان ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ بسطها وَوطأها ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ خلقها سوية، قابلة لحمل أمانة الخلافة، و﴿ مَا ﴾ فى الآيات الوسطى، تعود على الذات الإلهية، وقال مخلوف: [إيثار ﴿ مَا ﴾ على من (أى اختيار كلمة ما بدلاً من مَن) لإرادة الوصفية تفخيمًا وتعظيمًا، كأنه قيل: والقادر العظيم الذى بناها (والذى طحَاها، والذى سواها،)، وقيل إن ﴿ مَا ﴾ فى الآيات الثلاث مصدرية، فيكون القسم بـ: بناء السماء وطحو الأرض وتسوية النفوس] ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ بين لها طريق الفجور وطريق التقوى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ قد فاز من سلك طريق التقوى ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ وقد خسر وخاب من سلك طريق الفجور.

* * *

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾

ثم يضرب الله المثل بقوم ثمود، كذبوا رسولهم صالحًا (ﷺ) بظلمهم لتفضيلهم الفجور على التقوى ـ وطلبوا منه معجزة مادية حتى يصدقوه، فأرسل الله لهم ناقة ـ وطلب منهم أن

يحددوا يومًا خاصّا تشرب الناقة فيه، ويومًا خاصّا يشربون فيه ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ وهدد بقتل الناقة ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ اعلموا واحذروا، هذه الناقة هى معجزة الله لكم فلا تمسوها بسوء ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ فقتلوها ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ فأطبق عليهم الهلاك ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ولا يخاف الله من هذه العاقبة، والله لا يخاف، وهذا ما استقر فى ذهن أى صبى مسلم، ولكن هذه السورة المكية نزلت حين كانت العقائد والأفكار السائدة ذلك الوقت تجعل الله ـ سبحانه ـ يخاف، ويندم، ويبكى، ويتجسد، ويأكل، ويصارع، ويُضرب، ويُصفع.. ويموت!... بل هناك حتى اليوم فى آسيا عبادات تتحدث عن آلهة تموت وآلهة تولد.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١)﴾

يقسم رب العالمين فى هذه السورة بثلاثة من مخلوقاته ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ يغطى النهار بظلمته ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ ظهر وسطعَ ضوؤه ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ للتزاوج والتناسل، وقيل بل هو قسم بالذات العلية، فيكون القسم فى صدر السورة بالليل والنهار، وبالذات العلية ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ إن سعيكم أنواع ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ فأما من أنفق فى سبيل الله واجتنب عصيانه، وآمن ﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾ تعددت تأويلات الحسنى، فمنها: صدق بأن الله يخلف عليه نفقته وتقواه بالجزاء الأحسن، ومنها:

الكلمة الحسنى هى التوحيد، أو ملة الإسلام، وقيل بإحسان الله عليه الذى يستوجب الإيمان به وحسن عبادته، وقيل الجنة، ويجمع كل ذلك الإيمان بالله وكتبه ورسله ويوم الحساب، وعمل الصالحات، والله أعلم ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ فى حياته الدنيا والآخرة، فيهديه الله لشرائعه فيعمل بها فى الدنيا، ويفوز فى الآخرة بجنات الله ورضوانه ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أما من بخل بما لديه، واستغنى بمتع الدنيا الزائفة الزائلة عن الإيمان وعمل الصالحات، والطمع فى جنات الله ورضوانه فى الآخرة، وكَذَّب بإحسان الله عليه، فسييسره الله للعسرى فى حياته الدنيا وفى الآخرة، فيكذب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويتبع أهواءه وأمواله، ثم يتلظى فى نار جهنم فى الآخرة، ولا تنفعه أمواله.

* * *

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١)﴾

تؤكد الآية أن الهدى بيد الله، وأن الله له الآخرة والأولى، فهو خالق الأكوان وربها، لم يخلقها ويتركها، وسيبعث الناس للحساب، فلم يخلقهم عبثًا، وتنذر المكذبين بنار تتحرق شوقًا لإحراقهم، لا يحترق بها إلا ﴿الْأَشْقَى﴾ هذا الأشقى هو الذى كذَّب كتب الله ورسله وأعرض عنها، وسيتجنب هذه النار ﴿الْأَتْقَى﴾ الذى ينفق من مال الله الذى آتاه، ابتغاء وجه ربه الأعلى، لاسعيًا وراء جزاء من أحد، ولا شهرة ورياء، وإنما إنفاق خالص لوجه الله، ومن يفعل ذلك، فجزاؤه عند رب العالمين ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) ﴾

يقسم رب العالمين بالضحى، أى ضوء الشمس وحرها، أو الضحى الذى ينتج منه، أى وقت الضحى ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ إذا سكن، والمقصود إذا سكن الناس فيه ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ما تخلى عنك ربك وما كرهك، وسبب نزول هذه الآية انقطاع الوحى لمدة ما فى مطلع الرسالة ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ والذى ينتظرك فى الحياة الآخرة خير لك مما يأتيك فى الحياة الأولى، وقيل فى آخر حياتك الدنيا خير من بداية حياتك، ولا مانع من الجمع بين المعنيين ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ تعددت أقوال المفسرين، وربما كان الأرجح منها أن الله جعله خاتم النبيين، وسينتشر الإسلام فى حياته، وبعد مماته، ويبعثه الله المقام المحمود فى الآخرة، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾

يعدد سبحانه وتعالى نعمه على خاتم النبيين: كان يتيمًا فآواه لدى جده ثم عمه، وكان ضالاً، فهداه وجعله خاتم النبيين، وكان فقيراً فأغناه بعمله لدى خديجة (رضي الله عنها) ثم زواجه منها، ثم يأمره بأعمال الخير، هو وأمته، ومن بلغه القرآن: لا تقهر اليتيم، بل أحسن إليه، ولا تنهر السائل، فإما أن تعطيه بلا مَنٍّ، أو تعتذر فى أدب ولطف، وتحدث بنعمة الله عليك، قولاً وعملاً.

❋ ❋ ❋

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ قال المراغى: [إنا شرحنا لك صدرك، فأخرجناك من الحيرة التى كنت تضيق بها ذرعًا (قبل نزول الوحى عليه)]، وقال مخلوف: [ألم نفسح بالحكمة والنبوة صدرك]، أما الماتريدى فقد أفاض فى ذلك قائلاً: [قال بعضهم: شرح صدره للإسلام، كقوله ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢] والشرح هو التليين والتوسيع والفتح، وقال بعضهم: شرح صدره لأنه لما كلف بتبليغ الرسالة إلى الجن والإنس، وإلى الفراعنة والجبابرة الذين همتهم إهلاك من يخالفهم، ضاق صدره وثقل على قلبه، فوسع الله صدره وشرحه، وهو قول أبى بكر الأصم، وقال الحسن: بلى، قد شرح له صدره وملأه علمًا وحكمة] ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ الوزر هو الحمل الثقيل، والمقصود حيرتك وقلقك وثقل أيام الجاهلية عليك، قال مثل هذا المعنى الطبرى والزمخشرى والبيضاوى ﴿ الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ الذى أثقل ظهرك، كناية عما كان يعانى منه قبل الرسالة ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فأنت رسول الله بالقرآن وخاتم النبيين، وأمر الله بطاعتك، وقال لك ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وتُذكر مع كل أذان وإقامة، ويصلى عليك المسلمون فى كل صلاة مرتين، إلا صلاة الصبح فمرة واحدة ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ إن مع الضيق فرجًا، وروى عن الفاروق وابن مسعود وابن عباس (رضى الله عنهم) أنهم قالوا: لن يغلب عسر يسرين، وشرح ذلك الزمخشرى قائلاً: [لأنه إما أن يكون تعريفه (بالألف لام) للعهد، وهو العسر الذى كانوا فيه (فى بدء الرسالة) فهو هو، وإما أن يكون للجنس الذى يعلمه كل أحد، فهو هو أيضًا، أما اليسر فمنكر (بدون تعريف الألف واللام)

فهو متناول لبعض الجنس (أى لأنواع مختلفة من اليسر)]، ولذلك قال الفاروق (رضي الله عنه): لا أبالى، أصبحت فى يسر أو عسر ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ فإذا فرغت من تبليغ قومك الرسالة، فانتصب فى الدعاء والصلاة وذكر الله ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ اقصد وجه ربك فى كل ما تقول وتفعل.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾

يقسم رب العزة بأربع من مخلوقاته ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ﴾ والتين والزيتون، وجبل سيناء؛ حيث أُوحى إلى موسى (عليه السلام) ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة. تعددت أقوال المفسرين، فروُى عن ابن عباس قوله: تينكم وزيتونكم هذا، ورُوى قوله: التين مسجد نوح (عليه السلام) (حيث يكثر التين على الجودى)، والزيتون مسجد بيت المقدس (حيث يكثر الزيتون حوله)، وقال الزمخشرى: [. . فمنبت التين والزيتون مُهَاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذى نودى منه موسى، ومكة مكان البيت]، وقال المراغى: [المراد بالتين كما قال الأستاذ الإمام (محمد عبده) هنا: عهد الإنسان الأول الذى كان يستظل فيه بورق التين حينما كان يسكنه الجنة، والمراد بالزيتون عهد نوح ـ عليه السلام ـ وذريته حينما أرسل الطير فحمل إليه ورقة من شجر الزيتون فاستبشر وعلم أن الطوفان انحسر عن الأرض، وطور سنين الجبل الذى كلم الله ـ تعالى ـ موسى عنده، والبلد الأمين مكة (حيث

بدأت رسالة خاتم النبيين)] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ خلق الله الإنسان على أحسن ما يكون، فى المظهر والجوهر ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ قال الماتريدى: [يحتمل وجوهًا، أحدها: نرد الكافر إلى جهنم، وهى أسفل السافلين، والمؤمن رددناه إلى الجنة، وهى أعلى العليين، وهو ما استثنى بقوله ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فى الجنة، والثانى: رددناه إلى أسفل ما اختار من الأعمال والأفعال، وهو ما اختار من فعل الشرك والكفر، ورددنا المؤمن إلى أعلى ما اختار من الأعمال العالية الرفيعة، والله أعلم] ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لهم أجر غير مقطوع ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فبحكمته صرَّف أمور الدنيا والآخرة، ووضع موازين الرحمة والحق والعدل. وفى الحديث «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» رواه أبو داود.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

قال المراغى: [جاء فى صحيح الأحاديث أن النبى (ﷺ) كان يأتى غار حراء (حراء جبل بمكة) يتعبد فيه الليالى ذوات العدد (العديدة)، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها، حتى فجأه الوحى وهو فى الغار، إذ جاءه الملك، فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذه ثانية

(*) هناك شبه إجماع على أنها أول ما نزل من القرآن.

فغطّه حتى بلغ منه الجهد فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

قال الرواة: فرجع ترْجُف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: زمّلونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الرَّوع، فأخبر خديجة الخبر، ثم قال: قد خشيت على نفسى، فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزَّى (ابن عم خديجة) وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربى، وكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى، فقالت خديجة: أى ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخى ما ترى؟ فأخبره رسول الله (ﷺ) بما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذى أنزل على عيسى، ليتنى فيها جذعًا، ليتنى أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله (ﷺ): أوَ مُخْرِجى هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت أحد قط بمثل ما جئت به إلا عُودى، وإن يدركنى يومكَ أَنصرك نصرًا مُوزَّرًا، ثم لم ينشب أن تُوُفّى، رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم.

ومن ذلك تعلم أن صدر هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن الكريم، وأول رحمة رحم الله بها عباده، وأول خطاب وُجِّه إلى رسول الله (ﷺ).

أما باقى السورة فهو متأخر النزول، نزل بعد شيوع بعثته (ﷺ)، وبعد أن دعا قريشًا إلى الإيمان به، وآمن به قوم منهم، وكان جمهرتهم يتحرشون بمن آمن به ويؤذونهم، ويحاولون ردهم عن تصديقه، والإيمان بما جاء به من عند ربه.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ أى صر قارئًا بقدرة الله الذى خلقك وإرادته بعد أن لم تكن كذلك، فإنه (ﷺ) لم يكن قارئًا ولا كاتبًا، وقد جاءه الأمر الإلهى بأن يكون قارئًا وإن لم يكن كاتبًا، وسيُنزل عليه كتابًا يقرؤه، وإن كان لا يكتبه.

وقصارى ذلك ـ إن الذى خلق الكائنات وأوجدها، قادر على أن يوجد فيك القراءة وإن لم يسبق لك تعلمها.

ثم بين كيفية الخلق فقال: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق: الدم الجامد، أى إن الذى خلق الإنسان وهو أشرف المخلوقات كلها من العلق، وآتاه القدرة على التسلط على كل شىء

مما فى هذا العالم الأرضى، وجعله يسوده بعلمه، ويسخره لخدمته، قادر على أن يجعل من الإنسان الكامل كالنبى (ﷺ) قارئًا وإن لم يسبق له تعلم القراءة.

والخلاصة ـ إن من كان قادرًا على أن يخلق من الدم الجامد إنسانًا حيّا ناطقًا يسود المخلوقات الأرضية جميعها، قادر أن يجعل محمدًا (ﷺ) قارئًا وإن لم يتعلم القراءة والكتابة.

﴿ اقْرَأْ ﴾ أى افعل ما أمرت به من القراءة.

وكرر الأمر لأن القراءة لا تكسبها النفس إلا بالتكرار والتعود على ما جرت به العادة، وتكرار الأمر الإلهى يقوم مقام تكرار المقروء، وبذلك تصير القراءة ملكة للنبى (ﷺ)، تدبر قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦].

ثم أزاح العذر الذى بينه (ﷺ) لجبريل حين قال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ، أى إنى أمىّ لا أقرأ ولا أكتب، فقال:

﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ أى وربك أكرم لكل من يرتجى منه الإعطاء، فيسيرٌ عليه أن يفيض عليك نعمة القراءة من بحار كرمه.

ثم أراد أن يزيده اطمئنانًا بهذه الموهبة الجديدة، فقال:

﴿ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ أى الذى جعل القلم واسطة التفاهم بين الناس على بُعْد الشُّقَّة، كما أفهمهم بواسطة اللسان، والقلم آلة جامدة لا حياة فيها وليس من شأنها الإفهام، فمن جعل من الجماد الميت الصامت آلة للفهم والبيان، أفيصعب عليه أن يجعل منك قارئًا مبيّنًا، وتاليًا معلّمًا، وأنت إنسان كامل؟.

وقد وصف سبحانه نفسه بأنه خلق الإنسان من علق، وأنه علمه بالقلم ليبين أحوال هذا الإنسان، وأنه خلق من أحقر الأشياء، وبلغ فى كماله الإنسانى أن صار عالمًا بحقائق الأشياء، فكأنه قيل: تدبر أيها الإنسان تجد أنك قد انتقلت من أدنأ المراتب وأخسها، إلى أعلى الدرجات وأرفعها، ولابد من مدبر قادر حكيم أحسن كل شىء خلقه.

ثم زاد الأمر بيانًا بتعداد نعمه، فقال:

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أى إن من صدر أمره بأن يكون رسوله (ﷺ) قارئًا، هو الذى علم الإنسان جميع ما هو متمتع به من العلم، وممتاز به عن غيره من الحيوان، وكان فى بدء

أمره لا يعلم شيئًا، فهل من عجبٍ أن يعلمك القراءة، ويعلمك كثيراً من العلوم سواها، ونفسك مستعدة لقبول ذلك.

وفى الآية دليل على فضل القراءة والكتابة والعلم.

ولعمرك لولا القلم ما حفظت العلوم، ولا أحصيت الجيوش، ولضاعت الديانات، ولا عرف الأواخر معارف الأوائل، وعلومهم ومخترعاتهم وفنونهم، ولما سُجِّل تاريخ السابقين المسيئين منهم والمحسنين، ولا كان علمهم نبراساً يهتدى به الخلَف، ويبنى عليه ما به ترقى الأمم، وتتقدم المخترعات.

كما أن فيها دليلاً على أن الله خلق الإنسان الحى الناطق مما لا حياة فيه ولا نطق، ولا شكل ولا صورة، وعلمه أفضل العلوم وهى الكتابة، ووهبه العلم ولم يكن يعلم شيئًا، فما أعجب غفلتك أيها الإنسان]!.

* * *

﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩)﴾

يقول تعالى فى سورة الشورى ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِى الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ﴾ [٢٧]، وهنا تبين الآية، وهى من أوائل ما نزل من القرآن حال قريش بصفة خاصة، وحال الإنسان بصفة عامة ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ يطغى الإنسان عندما يرى ويظن أنه استغنى عن الخلق والخالق ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ تذكر أيها الغافل المستغنى أنك عائد إلى ربك ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَىٰ (٩) عَبْداً إِذَا صَلَّىٰ﴾ أرأيت يا محمد هذا الذى ينهى عن الصلاة، وهو أبو جهل وأمثاله فى زمن التنزيل، وممن جاء بعدهم، حتى اليوم، وما بعد اليوم ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ أرأيت كيف يخالف الهدى ويأمر بالعصيان ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أرأيت كيف يكذب الحق ويعرض عن الصواب ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ألا يعلم أن الله لا تخفى عليه خافية فى السماء والأرض ويعلم ما فى الصدور؟ ﴿كَلاَّ﴾ نهى وزجر لهذا الناهى عن الصلاة وأفكاره ومعتقداته وأقواله وأفعاله ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عن كل ما سبق ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنجذبنه بشدة من مقدم

رأسه ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ وقيل ناصية الرأس بها مقدمة الفص الأمامى للمخ الذى يتحكم فى الإرادة والقدرة على اتخاذ القرار هى التى فيها جزء المخ المسئول عن أفعال المرء ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ فليدع قومه الذين يوافقونه فى المنتدى الذى يتسامرون فيه ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ زبانية جهنم ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ أنت ومن معك، ومن يتبعك إلى يوم الدين، وجاء فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» رواه مسلم.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

بدأ الله إنزال القرآن فى ليلة القدر ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾ إنها أفضل من ألف شهر، فقد نزل فيها ما يصحح عقائد الناس ويرشدهم فى حياتهم الدنيا ليفوزوا بها وبآخرتهم، تتنزل الملائكة وجبريل فيها، جنوداً لرب العالمين بالحق فى كل مجال خير، يستغفرون لمن فى الأرض، ويصلون لربهم طالبين إنزال رحمته عليهم ﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ قال الألوسى: [المراد أنها سبب تام للسلامة والنجاة من المهالك يوم القيامة؛ حيث إن من قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه]، وتواترت الأحاديث عنها أنها فى العشر الأواخر من رمضان، وجاء فى الحديث الدعاء المشهور فيها «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى» رواه أحمد والترمذى والنسائى.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾

كان اليهود من أهل الكتاب ينتظرون نبيًا لآخر الزمان، وكانوا يتوعدون العرب بقتلهم عند نزوله، وتتحدث السورة عن الذين كفروا من أهل الكتاب، سواء كان ذلك بالإشراك أو بغيره، وعن الذين كفروا من المشركين، فتقول إنهم لم يكونوا مفارقين ما هم فيه حتى تأتيهم بينة تدفعهم لذلك، رسول من الله يتلو عليهم صحفًا مطهرة عن الباطل بصفة عامة، وعن الشرك بصفة خاصة، فيها آيات وسور مستقيمة تدعو للحق، وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، وكان ذلك قديمًا وحديثًا، فقد تفرق اليهود من بعد نزول التوراة والزبور عليهم، فرقًا متعددة، ثم تفرقوا وتفرق المسيحيون فرقًا جديدة بعد إرسال الله عيسى (ﷺ)، وإنزاله الإنجيل عليه، ثم تفرقوا مجددًا بعد رسالة خاتم النبيين (ﷺ) ونزول القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من عاداه وعادى المسلمين أشد العداء، ومنهم من اتخذ مواقف بين ذلك ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ كان ذلك أمر التوراة والزبور والإنجيل والقرآن لهم ﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ دين الملة والشريعة المستقيمة.

* * *

(*) وقيل مكية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

الإيمان بالله بينته آيات وأحاديث صحيحة: الإيمان بالله الواحد الأحد، وبملائكته وكتبه ورسله، وبيوم الحساب، وبالقدر خيره وشره، فمن بلغته رسالة الرسل بذلك وكفر، سواء كان من أهل الكتاب أو المشركين أو غيرهم، فهو في نار جهنم خالدًا فيها، وأولئك هم شر الناس، والذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك هم خير الناس، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عن خالقهم ورازقهم، مولاهم، وذلك ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

إذا تزلزلت الأرض، وأخرجت ما في جوفها من الموتى المدفونين وغيرهم، ويومئذ يذهل الناس ويتساءلون ما لها؟ يومئذ تبين الأرضُ أخبارها بالزلزلة وإخراج ما فيها، فتقول إن ربك أوحى لها بما تفعل، فينتهي أجل الحياة الدنيا، ويبعث الله الناس جماعات متفرقة ليعرفوا ماذا فعلوا في حياتهم الدنيا ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

هذه السورة تحث على الفروسية والشجاعة والإقدام فى مواجهة المعتدين، فالجهاد يحرس العقيدة ويحمى العباد ويصون البلاد والحرمات. . لذا نرى رب العالمين يقسم بأدوات الجهاد(١) ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ العاديات هى الخيل الجاريات، وضبحًا هو صوت أنفاسها

(*) وقيل مدنية.

(١) كالعادة، يطعن المستشرقون، ومن يردد أقوالهم، فى أن القرآن يدعو للعنف، ونقول لهم ارجعوا لآيات الكتاب المقدس التى أمرت وأشارت بقتل مدن كاملة، بكل ما فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، وحتى البهائم ولم يتركوا نسمة حية، بلا سابق إنذار، وبلا سبب إلا أنهم شعب الله المختار، وارجعوا لرؤيا يوحنا، آخر أسفار العهد الجديد الذى يتبعه المسيحيون، والذى يتكلم عن معركة أرماجدون، يموت فيها ثلث البشر، حتى ينزل المسيح بسلام، ويحكم العالم، وذلك السفر هو أحد الأركان الأساسية التى يقوم عليها التأييد الراسخ لإسرائيل من قبل المسيحيين فى الولايات المتحدة، وأوروبا المسيحية، وقد أنتجت الولايات المتحدة عدة أفلام شاهدها الملايين، ونشرت مئات الكتب عن تلك المعركة، قرأ واحدًا منها فقط ما يزيد على ستين مليونًا، حتى أن الناشر أصدر طبعة خاصة لصغار السن حتى يتربوا على عقيدة أرماجدون، ومن يريد الاستزادة يمكنه أن يقرأ: المسيح اليهودى ونهاية العالم ـ رضا هلال، أمة اليمين: قوة المحافظين فى أمريكا ـ ميكلثوايت، وولد ريج، يد الله ـ جريس هالسل، تاريخ نهاية العالم: كيف غير أكثر أسفار الكتاب المقدس إثارة للجدل حضارة الغرب ـ جوناثان كيرش، بلد الله (الولايات المتحدة) ـ راسيل ميد، الصهيونية غير اليهودية ـ ريچينا الشريف، الكتاب المقدس والاستعمار ـ القس مايكل پريور، الكتاب المقدس والسيف ـ بربارا توخمان، وليتدبر القارئ اليوم غزو أمريكا وبريطانيا وحلفائهما للعراق واحتلاله سبع سنوات، الذى بلغ عدد ضحاياه نصف مليون قتيل فى أقل تقدير، وتجاوز المليون فى غيرها، والقائم على كذب وتزييف كلّ من الإدارة الأمريكية والإدارة البريطانية، كذلك الغزو والعدوان الأمريكى الأوروبى لكلٍّ من أفغانستان وپاكستان الذى قتلت =

حين تجرى ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ أى المخرجات النار بحوافرها ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ تغير على المعتدين وقت الصبح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ فأثارت الغبار فى جريها ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ فتوسطت جمعًا من الأعداء ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ جحود يكفر بنعم الله عليه ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بهذا ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ويشهد كل إنسان على ذلك أيضًا ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ يوم البعث والنشور ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ كشفت صحيفته عما حبس فى صدره، وأوضح منه ما قال وعمل ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾

= فيه الجيوش الأمريكية وجيوش الناتو آلاف المدنيين، بلا تعويض ولا اعتذار ولا حرج، وفى خضم كل هذه الدماء التى أسالتها وتسيلها الولايات المتحدة وحلفاؤها، إذا بالعالم المتحضر الذى يتكلم عن السلام وحقوق الإنسان يمنح الرئيس الأمريكى جائزة نوبل للسلام. ولقد أحصى أحد الكتب الأمريكية عدد المرات التى أرسلت فيها الولايات المتحدة قوات تحارب خارج أرضها منذ نهاية الحرب العالمية حتى اليوم بأكثر من مائتى مرة، وعلق ساخرًا: على الإدارة الأمريكية أن تعد قائمة متجددة بعدد الشهر! «*الحرب المستمرة للسلام المستمر*» ـ جور ڤيدال. أما عصابات إسرائيل التى ارتكبت ما يزيد على خمسين مذبحة للمدنيين فى حوالى نصف قرن، وشنت أكثر من خمس حروب عدوانية، وما زالت تحتل أراضى من ثلاث دول عربية، ويفتى حاخاماتها بحق القوات الإسرائيلية فى قتل المدنيين، فتجسد الوجه السافر لحضارة اليهود والغرب، الذى يكذب قادته بلا خجل ولا حياء قائلين: من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها!

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ أى التى تقرع القلوب والنفوس بشدة من هولها، وذلك يوم القيامة ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ إنها يوم البعث والنشور، ثم الحساب، خلود فى الجنة أو فى النار ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ الفراش طائر ضعيف يتهافت على الضوء ولا يعرف عاقبته، والمبثوث أى المتفرق المنتشر ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ والجبال القوية الراسخة تتحول إلى هباء منثور مثل الصوف المنفوش ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ رجحت كفة أعماله الصالحة ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ فى جنة عالية ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى رجحت كفة أعماله السيئة ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ وأمه معناها مأواه لأن الطفل يأوى إلى حضن أمه، وهو هنا نارٌ حامية، وقال الزمخشرى: [من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة: هوت أمه؛ لأنه إذا هلك هوت أمه ثكلاً وحزنًا]، وقيل أم رأسه هاوية، فإذا هوت أم رأسه هوى كله، وما أدراك ما هى تلك الهاوية، وما هو ذلك الهلاك، إنه نار حامية.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨ ﴾

﴿ أَلْهَاكُمُ ﴾ شغلكم عن طاعة ربكم ﴿ التَّكَاثُرُ ﴾ التهالك على متع الدنيا، والتباهى والتفاخر بها، من الأموال والأولاد والوجاهة الدنيوية ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ حتى ذهبتم للمقابر لتعدوا من فيها فى تكاثركم بعضكم على بعض، وقال الزمخشرى والبيضاوى وغيرهما أنها نزلت فى بنى مناف وبنى سهم، وقال الشوكانى نقلاً عن مقاتل وقتادة وغيرهما

أنها نزلت فى اليهود، بينما قال الطبرى: [إن المقصود بـ ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى أتاكم الموت] ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كلا للنهى والزجر عن ذلك اللهو؛ لأنكم سوف تعلمون ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ لتأكيد النهى والزجر عن الانشغال بذلك التكاثر ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ لو انتبهتم إلى ما أنتم مقدمون عليه من جحيم لراجعتم أنفسكم، فاستقامت عقيدتكم واتبعتم رسولكم ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ثم إنكم ستعاينون البعث والحساب يقينًا ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ لتسئلن عن النعم التى تفضل الله عليكم بها فى الحياة الدنيا، وبدلاً من أن تحمدوا وتشكروا وتستقيموا فى عبادة الله، انشغلتم فى زيادة المتع الدنيوية وتفاخرتم بها.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ يقسم رب العالمين بالعصر أى عصر، بما يسرى على جل العصور إن لم يكن كلها إن الإنسان ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ فى معتقد خاسر، وفى عمل خاسر ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فهم مستثنون من ذلك الخسران ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أوصى بعضهم البعض، وأوصوا الآخرين بالاستمساك بالحق وسط طوفان الخسران المحيط بهم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على ما يحيط بهم، وجاء فى الحديث «يأتى على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذى. وسورة العصر هى أقل سور القرآن فى عدد الآيات، مع سورة الكوثر وسورة النصر.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ لمن يطعن ويعيب الناس ويقع فيهم بالسوء ﴿ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ همه جمع المال ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أيظن أن هذا المال سيجعله خالدًا فى متع الدنيا الزائلة الزائفة، وأنه لا يموت ﴿ كَلَّا ﴾ نهى وزجر عن ذلك المعتقد وذلك العمل ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ ليُطرحن فى جهنم التى تُحطمه ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴾ وما أعلمك بالحطمة وما تفعله بالناس، إنها ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ ﴾ تنفذ إلى القلوب لتحرقها، فما بالك بما تفعله فيما تحويه القلوب، ويحتمل أن ﴿ تَطَّلِعُ ﴾ تعنى أنها تعرف ماذا فى القلوب، وتتقد على صاحب النار بقدر ما تجد من سوء ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ مطبقة لا مهرب منها ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ فى عمد من نار ممددة عليهم.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾

قال المراغي: [حادث الفيل معروف متواتر لدى العرب، حتى إنهم جعلوه مبدأ تاريخ يحددون به أوقات الحوادث، فيقولون: ولد عام الفيل، وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل، ونحو ذلك.

وخلاصة ما أجمع عليه رواتهم ـ أن قائدًا حبشيًّا ممن كانوا قد غلبوا على اليمن أراد أن يعتدى على الكعبة المشرَّفة ويهدمها، لمنع العرب من الحج إليها، فتوجه بجيش جرار إلى مكة، واستصحب معه فيلاً أو فيلة كثيرة زيادة فى الإرهاب والتخويف، ولم يزل سائرًا يغلب من يلاقيه، حتى وصل إلى «المُغَمَّس» وهو موضع بالقرب من مكة، ثم أرسل إلى أهل مكة يخبرهم أنه لم يأت لحربهم، وإنما جاء لهدم البيت، ففزعوا منه، وانطلقوا إلى شعَف الجبال ينظرون ما هو فاعل] ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ألم تعرف يا محمد، ويا من يبلغه القرآن، كيف انتقم الله من أصحاب الفيل ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ ألم يجعل ربك قدومهم لهدم الكعبة فى خسران وفشل ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ أرسل عليهم مجموعات متتابعة من الطير ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ تقذفهم بحجارة من طين متحجر، وقيل من الجحيم، وقيل سجيل مشتقة من سجل العذاب، والمضمون أن تلك الحجارة أهلكتهم وجعلتهم ﴿ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ كورق الزرع إذا أصابته آفة، أو أكلت منه الدواب.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ (٤) ﴾

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ لتعويد قريش رحلة الشتاء إلى اليمن ليتاجروا مع فارس والهند ودول آسيا، ويختلطوا بتجارها، ورحلة الصيف إلى الشام، ليتاجروا مع الشام وما وراءها من آسيا الصغرى وأوروبا، ومصر وإفريقيا من ناحية أخرى، ويختلطوا بتجارها ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴾ رب الكعبة وليخلصوا له العباده؛ لأنه ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ فقد آمنوا أن تغزوهم فارس أو بيزنطة أو روما أو مصر، تلك الإمبراطوريات والممالك التى غزت العالم القديم.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ ما هى صفاته؟ ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يدفع اليتيم وينهره ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولا يدعو إلى إطعام المسكين، ويتحجج بعضهم قائلاً إن العيب فيه، فهو لا يريد أن يعمل ويجتهد، ويقول آخرون لو أراد الله لرزقهم، ويزيد آخرون قائلين إنه مسكين لأن الله يعاقبه، فكيف نساعده! ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الذين يسهون ويغفلون قاصدين عن أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأن فى الصلاة ذكر الله، الذى يعنى العمل على التقرب منه بإتيان الطاعات والامتناع عن المنهيات ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ ومن يغفل ويسهو عن دور الصلاة، فهو يؤديها ليرائى بها الناس ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ ويمنعون مساعدة الغير المحتاجين، خاصة فيما اعتاد الفقراء استعارته أو اقتراضه من القادرين.

* * *

(*) والآيات الأربعة الأخيرة مدنية.

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴾

سورة الكوثر هى أقل سور القرآن فى عدد الكلمات، وأقلها فى عدد الآيات مع كلٍّ من سورة العصر، وسورة النصر. ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ تعنى الخير الكثير المثمر ﴿ الْأَبْتَرُ ﴾ تعنى المقطوع، والمقصود بها المقطوع الذكر، أو من لا عقب له. تبين السورة، أنه كان هناك من عتاة قريش من يطعن فى الرسول (ﷺ) أنه لا يعيش له ابن ذكر، فلن يكون له ذكر، فأنزل سبحانه وتعالى سورة الكوثر، و ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ فوعل من الكثرة، فذكرك يا محمد مقرون بذكر الله فى الشهادة إلى يوم الدين، وأنت حامل الرسالة الخاتمة، ويُصلى عليك الله وملائكته والمؤمنون، ويفخر اليوم أكثر من مليار مسلم بأنك أسوتهم الحسنة، وإمامهم وقائدهم، ويفخر عشرات إن لم يكن مئات الملايين بانتسابهم إليك جدًا أعلى، وأنزل عليك رب العالمين ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وردًّ عنك افتراء القائلين بقوله ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ إن الأبتر هو من يشينك ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ شكرًا وحمدًا وطاعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾

تنفى السورة أى مشاركة أومشابهة أو مقاربة، أو ما إلى ذلك فى عبادة محمد (ﷺ) والمسلمين، وعبادة الكافرين الذين يرفضون رسالة خاتم النبيين والقرآن، وتقطع عليهم أى محاولات لحلول وسط أو تنازلات من الجانبين، أو ما إلى ذلك. وقد ذكرت كتب السيرة، وقال المفسرون إن كفار قريش حاولوا مراراً وتكراراً استمالة محمد (ﷺ) لآلهتهم، وأن يعبدوا إلهه بالتبادل، فنزلت الآيات البينات، وقد تكررت آيات النفى لتغطى عصر التنزيل، وما بعده إلى يوم الدين، ولتؤكد على المفاصلة التامة بين التوحيد الخالص، وبين أى كفر وشرك من جانب آخر.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾

هذه السورة أقل السور فى عدد الآيات، مع كلّ من سورة العصر وسورة الكوثر، وإذا كانت سورة الكوثر بشرت الرسول (ﷺ) بخير الله الكثير له فى الدنيا والآخرة، فقد بشرت سورة النصر بدخول الناس فى دين الله أفواجًا، تلك البشرى التى استمرت منذ التنزيل، وحتى اليوم، فنرى ناسًا من مختلف مناطق العالم، من مختلف الألوان والأعراق، ومن مختلف الدول يدخلون فى دين الله أفواجًا. يحدث ذلك فى أوروبا وفى الأمريكات، وفى آسيا وفى إفريقيا، فهل يهدأ من يزعم انتشار الإسلام بالسيف؟!

سورة النصر هى آخر سورة نزلت من القرآن الكريم، نزلت فى منى فى حجة الوداع، وعاش بعدها رسول الله (ﷺ) حوالى ثلاثة أشهر.. وعندما نزلت السورة خطب النبى

(*) قال البيضاوى: نزلت بمنى فى حجة الوداع فتعد مدنية، وهى آخر ما نزل من السور، وقال الشوكانى: هى مدنية بلا خلاف.

الكريم فى المسلمين فقال: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله» فبكى الصديق (رضي الله عنه)، فقد رأى أن رسول الله (ﷺ) ينعى نفسه بعد أن أكمل رسالته. ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ نصر تعنى أعان وأيد، والفتح هو الفصل بين خصمين، فيكون المعنى إذا جاء عون الله وفصله بين دينه وما سواه، فظهر دين الله بدخول الناس أفواجًا فيه، فسبح يا محمد بحمد ربك واستغفره، فإنه ﴿كَانَ تَوَّابًا﴾. قالت عائشة (رضي الله عنها) إنه كان (ﷺ) يكثر من الحمد والاستغفار فى أيامه الأخيرة قائلاً «سبحانك اللهم وبحمدك، استغفرك وأتوب إليه» متفق عليه.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾

كان أبو لهب، عم الرسول (ﷺ)، وزوجته (أم جميل) وهى أخت أبى سفيان سيد مكة وصاحب لوائها فى الحروب، من أشد الناس إيذاءً لرسول الله (ﷺ)، فكان أبو لهب يتعقبه فى كل مكان، وكلما قال: «إنى رسول الله إليكم» كذَّبه أبو لهب، وخوَّفَ الناس منه، وحذرهم من تصديقه.. وكانت أم جميل تسعى بالنميمة لإفساد علاقة النبى (ﷺ) بقومه.. وعندما اعتلى رسول الله (ﷺ) الصفا بجوار المسجد الحرام ونادى على قومه قائلاً: «يا صباحاه»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم، أكنتم تصدقونى؟» قالوا: نعم، قال «فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد» فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبّا لك، فأنزل الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إلى آخرها ـ رواه البخارى عن ابن عباس. والتبات تعنى الهلاك والخسران، وتبّا لك دعاء بالخسران والهلاك يقوله العرب، و ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ خسرت يدا أبى لهب وهلكتا، وخسر أبو لهب

وهلك ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ لن يمنع عنه العذاب كل ماله وكل ما كسب فى الدنيا ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ سيصلى بنار جهنم ذات اللهب ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ تمشى بالنميمة بين الناس، وحمل الحطب مجاز على إشعال نار الفتن بنقل الكلام المسىء، وقيل كانت تنثر الشوك فى طريق الرسول (ﷺ) ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ فى عنقها فى الآخرة حبل مفتول من ليف، وقد روت كتب السيرة أنها باعت قلادة ثمينة لها للإنفاق على عداوة الرسول (ﷺ). قال الماتريدى إن فى هذه السورة ثلاث دلالات على نبوة المصطفى (ﷺ): [حيث أخبر أنه (أبو لهب) سيصلى نارًا ذات لهب، ولا يصلى بالنار إلا بعد ما يختم (يختم حياته) بالكفر، ثم كان كما أخبر (مات على الكفر) ـ وأن رسول الله (ﷺ) قرأ هذه السورة بمكة ـ حين لم يكن له ناصر، وكانت المنعة والقوة للكفرة، وكانوا جميعًا أولياء أبى لهب وأنصارًا له، ولا يحتمل أن يقرأ محمد (ﷺ) هذه السورة عليه وفيها سبٌّ له وتعيير إلى يوم القيامة مع قلة أوليائه وكثرة أعدائه؛ إذ فيه (فى ذلك الاجتراء) هلاكه، إلا برب العالمين (أى لا يقوم بذلك العمل إلا بأمر رب العالمين، ولا يحميه بعد ذلك القول إلا رب العالمين) ـ ومعنى آخر (دلالة أخرى) أنه ـ عليه السلام ـ كان موصوفًا بحسن العشرة وإجمال الصحبة مع الأجانب، فما ظنك بالعشيرة والأقارب، فما جاز له هذا (القول) إلا بأمر الله تعالى] ونقول للماتريدى رحمه الله: لا فُض فوك يا أيها الإمام!.

***

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾

سأل مشركو مكة الرسول (ﷺ) أن يصف ربه وأن يذكر لهم نسبه، فنزلت هذه السورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قل لهم يا محمد إن الله أحد. قال الماتريدى: [لا سبيل إلى العبارة عنه

بغير هذا اللسان (بغير هذه اللغة) ولا وجه للتقريب إلى الأفهام (تقريب معنى أنه واحد أحد) بهذا اللسان إلا بما جرى به الاعتياد، وجاء فى سورة الشورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [١١] وقال بعض العارفين: كل ما خطر ببالك عنه، فليس هو] والمقصود نفى قدرة لغة البشر وإدراكهم على وصف الذات الإلهية ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ المقصود وحده بالعبادة الحقة، والدعاء الحق، وأضاف الماتريدى: [وقد قيل فى الصمد: إنه الدائم... لا يحتمل التغير والاستحالة] ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لم يتخذ ولدًا ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يلده أحد، وقد تربى المسلمون على سورة الإخلاص من صغرهم، ولذلك قد يتعجبون من الحاجة لنفى أن الله ـ سبحانه ـ وُلد، أو أنه ـ سبحانه ـ اتخذ ولدًا أو أنجب ولدًا، ولكن سادت وقت التنزيل أساطير من الشرق والغرب عن آلهة تلد وآلهة تولد، وآلهة تقاتل وتدبر مؤامرات، وآلهة تُقتل أو تموت، وما زال حتى الآن فى آسيا وأفريقيا من يعبدون آلهة يقدمون لها الطعام والشراب يوميًا، ومنها ما يموت وينصبون مكانه آلهة أخرى، أو يعبدونه وهو ميت، إلى ذلك من المفاهيم المنحرفة عن المفهوم الإسلامى، ومن يعتقد بمثل تلك المفاهيم هم مليارات من البشر.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ قل يا محمد ومن اتبعك ومن بلغه القرآن: ﴿أَعُوذُ﴾ ألجأ وأحتمى واتحصن وأعتصم برب الصبح؛ لأنه يفلقه عن الليل، ويقول العرب فى أمثالهم: هو أبين من فلق الصبح، وعمم بعض المفسرين فقالوا إن الفلق هو كل ما يفلقه، أى يشقه الله، كالتربة التى تنفلق عن النبات، والسحاب الذى ينفلق عن ماء المطر، والأرحام التى

تنفلق عن الأولاد وما إلى ذلك ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من كل شرور الكون، وأولها ما يأتى من نفس الإنسان التى بين جنبيه، إلى شرور شياطين الإنس والجن، إلى شرور أحداث الطبيعة من زلازل وبراكين وما إلى ذلك ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ومن شر الليل إذا حل ظلامه ونشطت نوازع الشر فى الإنسان، وفى شياطين الإنس والجن ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ النفث هو النفخ من الريق، والعقد هى عقد الخيوط التى ينفخن فيها، وقال معظم المفسرين إن المقصود بذلك التعوذ من النفوس التى تسحر[1] وشرورها، وليس فى هذا إقرار بقدرة السحرة ولا بتأثير السحر ولا بنفيهما، فشرور السحرة تبدأ بالإيمان بهم واللجوء إليهم، مرورًا بالاستجابة لطلباتهم والركون إليهم، وما قد يسبب ذلك، وما قد يسببونه، من شرور. وخالف محمد عبده والمراغى ـ وغيرهما ـ ذلك التأويل، وقال المراغى: [﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أى ومن شرِّ النمامين الذين يقطعون روابط المحبة، ويبددون شمل المودة، وقد شبه عملهم بالنفث، وشبهت رابطة الوداد بالعقدة، والعرب تسمى الارتباط الوثيق بين شيئين عقدة، كما سمى الارتباط بين الزوجين ﴿عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ فالنميمة تحوّل ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بالوسائل الخفية التى تشبه أن تكون ضربًا من السحر، ويصعب الاحتياط والتحفظ منها، فالنمام يأتى لك بكلام يشبه الصدق، فيصعب عليك تكذيبه.

قال الأستاذ الإمام (محمد عبده) ما خلاصته: قد رووا ها هنا أحاديث فى أن النبى (ﷺ) سحره لَبِيدُ بن الأعصم، وأثَّر سحره فيه حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله، أو يأتى شَيئًا وهو لا يأتيه، وأن الله أنبأه بذلك، وأخرجت موادّ السحر من بئر، وعوفى (ﷺ) مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة. والذى يجب علينا اعتقاده أن القرآن

(١) ربما تسرب ذلك لهم من تراث أهل الكتاب الذين انشغلوا واهتموا كثيرًا بمسألة السحر، فقد جاء فى العهد القديم من الكتاب المقدس: لا تدع ساحرًا يعيش، كذلك جاء أمر واضح صريح بقتل السحرة، واستمر قتل الساحرات بأعداد كبيرة منذ أيام بنى إسرائيل القديمة، وحتى القرن السابع عشر فى أوروبا وأمريكا، واستمرت ممارسات القتل الفردية للساحرات حتى القرن العشرين فى المجر وألمانيا والمكسيك، وقدرت موسوعة بريتانيكا فى مدخل Whitchcraft and Sorcery عدد السحرة الذين قتلتهم الكنيسة الكاثوليكية فى أوروبا فى القرنين السادس والسابع عشر ما بين ٤٠,٠٠٠ ـ ٦٠,٠٠٠، وقالت إن المحبوسين والمعذبين بتهمة السحر أكثر من ذلك بكثير. وهناك تقديرات أخرى أضعاف أضعاف ذلك التقدير، وترفع عدد المقتولين حرقًا وعلى خوازيق والمعذبين إلى مئات الآلاف، وبعضها إلى أكثر من مليون، وتتحدث عن قرى بأكملها كان يُقتل معظم سكانها على آلاف الخوازيق، وبالطبع كانت أموال وأراضى السحرة تُصادر لصالح الكنيسة: «موسوعة السحر والمعتقدات الشيطانية ـ The Encylcopedia of Witchcraft and Demonology»، «مطاردة السحرة فى بداية تاريخ أوروبا المعاصرة ـ The Witch - Hunt in Early Modern Europe»، «الإنجيل وفقًا للمرأة ـ The Gospel According to Woman».

المتواتر جاء بنفى السحر عنه عليه الصلاة والسلام؛ حيث نسب القول بإثبات حصوله له إلى المشركين ووبخهم على ذلك.

والحديث ـ على فرض صحته ـ من أحاديث الآحاد التى لا يؤخذ بها فى العقائد، وعصمة الأنبياء عقيدة لا يؤخذ فيها إلا باليقين، ونفى السحر عنه (ﷺ) لا يستلزم نفى السحر مطلقًا، ولكن من المحال أن يصيبه (ﷺ)؛ لأن الله عصمه منه.

وهذه السورة مكية فى قول عطاء والحسن وجابر، وما يزعمونه من السحر إنما وقع بالمدينة، فهذا مما يُضعف الاحتجاج بالحديث، ويضعف التسليم بصحته. وعلى الجملة، فعلينا أن نأخذ بنص الكتاب، ونفوض الأمر فى الحديث، ولا نحكمه فى عقيدتنا] ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحسد انفعال نفسى أمام النعم التى يتمتع بها الآخرون، فهناك بعض النفوس الضعيفة تغضب وتحسد فتتمنى زوال هذه النعم، وقد تنفعل تلك النفوس فى صورة قول أو عمل ضد من تحسده، فالحسد شرٌّ نستعيذ بالله منه.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَٰهِ النَّاسِ (٣) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

هذه المعوذة الثانية، يعوذ فيها المسلمون بالله، رب الناس، ملك الناس، إله الناس من شر وسواس النفس الذى يتوارى ويختفى، ويعمل عمله سرّا فى الصدور، وقد تكون تلك الوساوس من شياطين الجن، وقد تكون من شياطين الإنس، وجاء فى الحديث: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس» رواه البخارى.

أعـاذنا الله ربنا من كل الشـرور والوسـاوس، وثبت قلوبنا وأقـدامنا على الإيمان وهـدانا سبله، وختم لنا بالشـهادة، ونشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له وأن محـمدًا رسـول الله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

❊ ❊ ❊

من أراد الدنيـا فعليه بالقـرآن، ومن أراد الآخرة فـعليـه بالقرآن ومن أرادهـما معًـا فعليه بالقرآن.

❊ ❊ ❊

اللهم إنا عبيدك، بنو عبيدك، بنو إمائك، نواصينا بيدك، ماض فينا حكمك، عدل فينا قضاؤك، نسألك يارب بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا وذهاب همومنا وغمنا، اللهم علمنا منه ما جهلنا وذكرنا منه ما نسينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا، إنك على كل شئ قدير.

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، وجاز كل من ساهم فيه خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊